مجلة الرائد

العدد : ١٨٩ الموافق في ذو الحجة ١٤١٧ هجري ٥ / ١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : إنـــها تركستان الشرقية يا أُخَيّ !	بقلم : مدير التحرير

تناقلت وكالات الأنباء أخبار الاضطرابات والانفجارات التي وقعت في "سينكيانغ " ! ، فاستفزني هذا الاسم ، الذي يوصف بأنه إقليم صيني تقطنه أغلبية مسلمة ! ، ورجعت بي الذاكرة إلى كتاب « ليالي تركستان » للأديب الإسلامي الراحل الدكتور نجيب الكيلاني رحمه الله تعالى ، فقد كشف ببراعه المبدع ، وبأسلوبه الروائي ، عن مأساة مسلمي تركستان ، وهي غربية وشرقية ؛ أما تركستان الغربية التي استقلت يوم تفكك الاتحاد السوفييتي ، وأما تركستان الشرقية فهي التي يسميها الصينيون « سينكيانغ ». وأظهر الكيلاني في الرواية مدى جهل المسلمين بأقطارهم المسلوبة ، وإخوانهم المنسيين !!. وقد فاجأتنا السنوات الأخيرة بحوادث أقامت الدليل تلو الدليل على فظاعة هذا الجهل... وما مأساة البوسنة والهرسك ، وملحمة الشيشان ، وأزمة طاجكستان عنا ببعيد... وهناك غيرها كثير كثير ، وقد تأتي أنباؤها بعد حين !!.

هذا وقد لاح لي أن أنقل إلى القراء مقدمة رواية « ليالي تركستان » مستنهضاً بذلك همم الغيورين إلى قراءة الرواية بهدوء وتمعّن ، لما فيها من المعاني الكريمة والتوجيهات العظيمة.

يقول الدكتور نجيب الكيلاني :

« المدينة المقدسة تكتظ بحجاج بيت الله الحرام ، وحول الحرم المكي خلق كثيرون من شتى الأجناس والألوان ، السود القادمون من أفريقيا ، والبيض القادمون من أوروبا وأمريكا ، والوجوه الصفراء المميزة التي أتت من أقاصي آسيا ، وعرب وعجم ، كلهم يسيرون في مواكب متدفقة يهللون ويكبرون ، ويطوفون بالبيت العتيق ، أو يهرولون بين الصفا والمروة ، أو يصلون في مقام إبراهيم ، ويتسابقون لشرب قطرات من ماء زمزم ، هنا في هذه البؤرة المقدسة يلتقي الناس إخوة من كل فج وصوب ، تباينت لغاتهم ، واختلفت ألوانهم ، لكن شيئاً واحداً يجمعهم... الإيمان بالله ورسوله وكتابه...

وبعد أن أديت صلاة الظهر... اتجهت إلى البيت الذي أقيم فيه بمكة المكرمة ، وفي طريقي دلفت إلى بعض الأزقة... هناك تباع المسابح والسجاجيد الصغيرة للصلاة ، والطواقي المزخرفة ، والأدعية الشريفة ، وجلست في حانوت صغير... نظرت إلى وجه التاجر الذي يبدو أنه قد تخطى السبعين من عمره ، لم يكن عربياً ... هذا واضح من ملامحه ولون وجهه ولكنةٍ خاصة في كلامه... قلت وأنا أمسك بين أناملي بعدد من المسابح الجميلة :

- « من أي البلاد أنت ؟؟؟ »

سدد إليّ نظرات يشوبها الحزن والأسى وقال :

- من بلاد الله الواسعة...

- « أعرف... فأي هذه البلاد تقصد »

تنهد وقد تبللت عيناه بالدموع وهتف :

- « من تركستان... »

فكرت قليلاً ثم قلت :

- « أهي بلاد ملحقة بتركيا ؟؟؟ »

وعلت ابتسامته الساخرة ظلال كآبة وقال :

- « المسلمون لا يعرفون بلادهم... ما هي صناعتك ؟؟؟ »

- « طبيب من مصر... »

- « أفي بلاد الأزهر الشريف ولا تعرف تركستان ؟؟ حسناً... لا شك أنك تعرف الإمام البخاري والفيلسوف الرئيس ابن سينا والفارابي والعالم الجهبذ البيروني... »

- « إنني أعرفهم... »

- « هم من بلادي... »

وشرح لي الرجل ، واسمه « مصطفى مراد حضرت » ، ما هي التركستان ، وأخبرني أن التركستان تقع في أقصى الشمال ، وأنها قد انقسمت بفعل الاستعمار إلى تركستان شرقية وأخرى غربية ، وأن الروس قد احتلوا تركستان الغربية وضموها إلى جمهوريات الاتحاد السوفييتي ، وأن تركستان الشرقية قد احتلها الصينيون من قديم ، وضموها إليهم وسموها سينكيانج - أي الأرض الجديدة - وأن الشيوعية قد نشرت جناحيها على تركستان شرقها وغربها... وهكذا ضاعت بلاد إسلامية كانت من أعظم بلاد الله حضارة وتاريخاً وكفاحاً ومجداً... إنها الأندلس الثانية... عيب المسلمين أنهم لا يعرفون تاريخهم ، ولا يدرون إلا القليل عن بلادهم...

هكذا كان يقول ، ولحيته البيضاء ترتجف...

ثم التفت صوبي قائلاً :

- « أتريد أن تشرب الشاي ؟ »

- « لا مانع... لكني أريد القصة من أولها... »

قال وهو يتناول أقداح الشاي من فتى صغير ، لعله حفيده :

- « القصة تشكل مأساة طويلة... الحجاج يأتون كل عام إلى مكة ، ويؤدون الشعائر ، ثم يعودون أدراجهم من حيث أتوا... هل فرض الحج على المسلمين لكي يأتوا ويعودوا ؟؟؟

لا أظن ذلك... مَن مبلغٌ عني كل زائر لهذه الديار المقدسة قصة الشعب المسلم التعس الذي سقط بين قسوة المنجل والمطرقة ؟ حسناً... يمكننا أن نلتقي في المساء... سأحضر لك بعض الكتب... سأحدثك عن قصتي الطويلة ، أنا هنا... وعيناي معلقتان بالأرض الخضراء بالجبل السماوي « جبل تيان شان »...

بجبال « يامير » الواقعة بين حدود باكستان وتركستان... بالنساء اللاتي نزعت البراقع من فوق وجوههن... بالشباب المعذب المخدر الذي يساق إلى معاهد العلم الجديدة هناك ليتعلم الإلحاد... ويُسقى الأكاذيب والثُّرهات ، حتى ينسى تاريخه وإسلامه... بالمآذن والقباب... بالجموع التي تزحف في أطراف سيبيريا يحرقها الهوان والعذاب واللعنات الظالمة... أنا من تركستان الشرقية...»

بقي أن أشير إلى أمور مفيدة :

❋ احتلت الصين تركستان الشرقية عام ١٩٣٠م ، وأعلنت عن ضمها إلى الصين عام ١٩٤٩م ، ومعظم سكان تركستان الشرقية من أصول تركية ، ويقدر عدد سكانها المسلمين بـِ ١٢ مليون نسمة.

❋ مارست الحكومات الصينية سياسة « دمج المسلمين » فضيقت على كل ما يثبت هويتهم الإسلامية ، وقامت بتهجير مجموعات من الصينيين آملة في تغيير التركيبة السكانية ، ولكنها لم تفلح كثيراً ، إذ بقي معظم المسلمين - على الرغم من الجهل والفقر والعزلة - معتصمين بحب الإسلام ، واعتمدوا سياسة « عزل الدخلاء ».

❋ ظل مسلمو تركستان الشرقية يعبرون عن رغبتهم في الاستقلال كلما ضعفت يد الحكومة الصينية الحديدية ، التي تفرض على المسلمين الفقر والجهل ، وتستغل خيرات بلادهم وبخاصة النفط ، وتستخدم أرضهم في التجارب النووية !. وهذه السياسة تقف وراء تصعيد الاحتجاجات في الأيام الأخيرة. وهناك عامل مجاور هو استقلال تركستان الغربية بعد انهيار الامبراطورية السوفييتية.

فهل يهتم المسلمون بإخوانهم ؟ أم يتركونهم لآلات القمع الصينية ؟ كما فعلوا مع إخوانهم الشيشان الأبطال !!. وهل يجدد أصحاب القلم تعريف المسلمين بأوطانهم المسلوبة وإخوانهم المستضعفين ؟!.